

لمحات من أدب الأطفال المحلاوي

(1) إعداد أ. / فريد محمد معوض

مدخل :

تنفرد مدينة المحلة الكبرى بمكانة أدبية متميزة جعلت الدكتور يسري العزب في إحدى دراساته يقول بأن المحلة صارت تنتج الأدب مثل إنتاجها للغزل والنسيج . . والتنوع الإبداعي في المحلة الكبرى أحد سمات هذا الثراء وهذا التدفق . .

وحين نتقل إلى المشهد الإبداعي في مجال أدب الطفل فسوف تجد التنوع ذاته ماثلاً في الأجناس الأدبية المختلفة المقدمة للطفل والأعمال التي أرسلت لي لدراستها . . ومع متابعتي لها قبلاً . . تبرز هذا التنوع جيداً .

ولأن هذا التنوع الغزير لا يمكن أن نقدمه في بضع صفحات بل يحتاج إلى دراسات أخرى فإن اللوحة تصبح ضرورة . . وبالتالي ندخل إلى إنجاز الكاتب من خلال المجال الأدبي الأكثر بروزاً لديه وهذا يتناسب مع المساحة المطلوبة للورقة والوقت القليل المخصص لإنجازها . . لكن ورقتي ستحاول أن تشير إلى إنجاز كل كاتب بعيداً عن المجال الذي تم التركيز عليه ، وسندخل إلى المشهد الأدبي للطفل عند هؤلاء عبر الأجناس الأدبية . .

أولاً : رواية الطفل وحكايات الجد مشعل :

ورواية الطفل فن برز مع جيل الرواد الذين أسسوا لأدب الطفل قواعد وأركان عديدة واستفاد هذا الفن في بداية ظهوره من التاريخ تبسيطاً واستلهاماً كذلك التراث الشعبي والعربي . . وبرزت نماذج لا بأس بها استندت إلى الواقع وتفجرت عبر الخيال الأدبي الجميل . . وعلى يد جيل الرواد الحالي . . ثم جاءت التسعينات لتحل وجبات دسمة من هذا النوع الروائي القصير . .

وخاصة ما أفرزته مسابقات عديدة أهمها جائزة سوزان مبارك في أدب الطفل . .

وهذا مدخل سريع وواجب قبل الدخول إلى عالم الأدب محمود عبد الله محمد⁽²⁾ الذي قدم لنا روايته " حكايات الجد مشعل " وهي أيضا فائزة بجائزة سوزان مبارك في أدب الطفل عام 2002 أي أن عطاء المسابقة لهذا النوع امتد منذ ظهور المسابقة عام 1989 وحتى الآن .

ورواية محمود عبد الله من النوع الذي يمكنك أن تتعامل معه كرواية للصغار والكبار حتى وإن جاءت الرحلة معه كرواية للصغار والكبار حتى وإن جاءت المرحلة السنوية مدموغة على غلاف الرواية من 12 : 16 بل بتعدد لوحات أخرى يضيفها محمود عبد الله . . يمكنه أن يقدم لنا عملا روائيا جيدا . . الرواية مثل مؤلفها تنتمي إلى القرية المصرية بزخما وعبقها وزحف الشر إليها ومقاومتها . . وبطل الرواية هو الجد مشعل الذي عاش قرنا من الزمان وهو يحكي الأحداث البارزة في حياته والتي تمس مصير القرية الحرب و السلم و المرض والجهل والحياة والموت وتتناول الانتهازين الذين يمسون دماء أبنائها مثل يوسف الأعرج وغبريال والمدافع عن الأرض الذي يستشهد من أجل الوطن مثل السيد حسب النبي ونموذج المرأة المتمثل في فضيلة التي تدافع عن حدود أرضها . . الكاتب يكتب عما يعرف ويلم بأطراف الحدودة ويجعل من الجد مشعل رواية يحكي حكايات كثيرة ويستمتع إليه الآخرون . . وكما أشرنا لا يمكن أن تلم بأحداث رواية في بضع سطور . . إنما يمكن للقارئ بسهولة أن يلحظ عالم الكاتب الثري وإلمامه بالمكان فهو يقدم بانورا ما يبرز فيها كتاب القرية وشوارعها وحقولها وسواقيها عبر لوحات متعددة ومتتالية واللغة مناسبة كما أشرت ليس للمرحلة السنوية التي ذكرها فحسب إنما هي مناسبة لمن هو فوق ذلك ممن يعنيه أن يعرف تاريخ الوطن من خلال قرية صغيرة . . وتكمن أهمية (حكايات الجد مشعل) أنها تقدم هذه الوجبة للطفل أو الشاب في لقمة مغموسة بالحكاية الحلوة . .

ثانيا : قصص تستلهم التراث الإسلامي :

وأمامي قصة نموذج في هذا الاتجاه " يوم تعطل التلفاز "⁽³⁾ الصادرة عن مكتبة مصر وهي للأديب عبد الجواد الحمزاوي⁽⁴⁾ الذي فاز من قبل بجائزة رابطة الأدب الإسلامي العالمية والقصة تحكي عن المنام الذي رآه عبد المطلب جد الرسول (ﷺ) بأن الله يأمره أن يحفر البئر . . وتمضي القصة وتحكي عن نذره بذبح أحد أبنائه . . ومشهد فدائه بمائة من الإبل والقصة تمهد إلى أروع وأجمل سيرة وهي سيرة المصطفى (ﷺ) . . لكن كيف قدمها الكاتب هذا هو السؤال . .

(2) حكايات الجد مشعل (رواية للطفل) : الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006 . . الفائزة بجائزة سوزان مبارك عام 2002 وفاز الكاتب أيضا بجائزة هيئة قصور الثقافة عام 1997 وفاز أيضا بالمركز الأول بجائزة رابطة الأدب الإسلامي عام 1999 . . اللوحة والقلم . . محمود عبد الله محمد . . مكتبة مصر 2000 .

(3) يوم تعطل التلفاز : مكتبة مصر 2006 .

(4) فائز بجائزة رابطة الأدب الإسلامي العالمية . . المركز الأول فرع قصة الطفل عام 1999 .

التلفاز هو وسيلة التسلية للأسرة هو الحاكم بأمره داخلها يجذب الجميع إليه . . والأبصار تحدد فيه جيدا لا مجال لحديث أو تبادل النصيح وتبدأ القصة بتعطّل التلفاز وإرساله للمصلح وتعود الفرصة للأسرة للتحوّل الجميل . . والاستماع إلى ما يفيد وهنا تدخل قصة عبد المطلب جد الرسول عليه الصلاة والسلام . . تصبح في الصدارة . . وتصبح محورا للحديث وللأهمية وهذا ما يريد أن يوصله الكاتب لطفله . . إنه لا يرفض وجود التلفاز في البيت لكنه يرفض استبداد هذا الجهاز فهل تتجمد الحكايات العطرة حتى يتعطّل التلفاز وفكرة الدخول للحكي ذكية ويصحح الكاتب للأطفال الاسم الحقيقي لعبد المطلب وهو " شبيه " واسم عبد المطلب جاء من عمه المطلب الذي آواه بعد وفاة أبيه . . وجاءت القصة بلغة سلسة ومعبرة ورسومها غاية في البهجة تدل على صاحبها عبد الرحمن بكر .

ولعبد الجواد الحمزاوي العديد من الأعمال القصصية والمصورة التي تحتاج إلى دراسات مستقلة ليس مجالها هنا .

القصة الثانية بعنوان " فانوس على كل باب " للأديب محمد تركي وهي نموذج جيد للتعامل مع التراث وتقديمه للطفل برؤية جديدة ونظرة واعية . . ومحمد تركي⁽⁵⁾ كاتب متميز للطفل يكتب القصص السردية والمصورة . . القصة حدثت في بلاد الأندلس أيام ازدهار الدولة الإسلامية والقصة تقدم أحد أسباب هذا الازدهار أراد الخليفة أن يزوج ولده . . لكن الولد وضع شرطا رآه الخليفة والوزير صعبا وهو أن يتزوج بفتاة تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وألا تكون هذه الفتاة من بيوت الأمراء والوزراء بل من عامة المسلمين وينطلق منادي المدينة حاملا أمر الخليفة بأن من لديه ابنة تحفظ القرآن يعلق فانوسا على باب داره حتى يمر موكب الخليفة على ديار المسلمين . . ويا للدهشة المدينة بالليل غارقة بأضواء الفوانيس فهناك " فانوس على كل باب " المدينة عامرة بالقرآن . . من يتزوجها ولي العهد إنها واحدة ولكن من يتزوج الأخريات ، ويكون الحل من عند كاتب الأطفال . . هناك جنود الجيش المخلصين الكثيرين وستزوج كل فتاة حفظت القرآن .

القصة جميلة وتحيل القارئ إلى زمن جميل . . وقد استشعر الكاتب حلاوتها فقدمها في شكل سيناريو كما قدمها سردا من قبل .

وقد لاحظت في عالم الأديب محمد تركي اهتمامه باستلهام التراث في قصصه المصورة للأطفال أما السرد فقدم من خلاله كتابات عديدة تنم عن موهبته وقدرته على توجه عدسته نحو لقطات ذكية يظهر فيها بطله الذي هو غالبا ينتمي إلى بيئته الريفية والشرح يحتاج إلى دراسة مستقلة .

(5) يكتب محمد تركي القصة القصيرة وفي مجال أدب الطفل القصة السردية والمصورة ونشر أعماله في المجلات العربية "

أحمد - باسم - علاء الدين - الجليل الجديد ميكي - قطر الندى - وغيرها . . "

ثالثاً : أدب الخيال العلمي.. ومن يصرع الريبوت :

يرتقي أدب الخيال العلمي في عالم يقدر العلم . . عالم ينتظر ما يمنحه الخيال الإنساني الجميل لالتقاط اختراع جديد تبدأ في الاستعداد لإخراجه إلى حيز التنفيذ . .

لكن إذا كان هناك عالم لا يقدر الاختراعات نفسها التي صارت أمراً واقعاً بعد خروجها من إطار الخيال العملي . . فكيف تقوم فيه قائمة للخيال العلمي لكن في وسط هذا الضباب يأتي الإنصاف لهذا الأدب من طفلنا العزيز . . طفلنا يعيش هذا النوع من الكتابة . . ويستطيع أن يجاري هذا الخيال مهما بلغ به الشطط من هنا يسعى أدباء الطفل لتغذية الطفل بهذا النوع الأدبي الجميل ومنهم الأديب محمود صادق⁽⁶⁾ وروايته الصادرة عن الهيئة المصرية للكتاب بعنوان " من يصرع الريبوت " تظهر مدى ما يتمتع به الكاتب من قدرة على التوصل والقصة تصور لنا نزاعاً وصراعاً لمجموعة من الفتيان للريبوت " صراع للأيدي " يفشل الفتيان جميعهم وتامر الذي يستبعده الجميع لضمور في جسده لكي يشارك في السباق هو الذي يصرع هذا الريبوت عن طريق التعامل مع الريبوت حسب آليته وحسب منطق تامر . .

الذي يظهر ذكاؤه ويصبح هو قاهر الريبوت . . والطريقة التي يتعامل بها تامر مع الريبوت هي نفس الطريقة التي يتعامل بها محمود صادق في حياته مع الأشياء محمود لمن لا يعرفه شخصية تميل إلى الابتكار يعرف كيف يتعامل مع الدائرة الكهربائية وكيف يصنع نولاً خشبياً يغزل الأثواب وكثيراً ما يحاور جهاز الكمبيوتر رغم أنه لا يمتلك الجهاز ويقتني أعداداً من مجلة العلوم وقد حرص على أن يخلص لأدب الخيال العلمي إخلاصه للرواية والقصة . . محمود صادق كثيراً ما يصرع ظروف القهر كي يحصل منها على ابتكار . . وعليه فإن تامر الذي يقدمه في القصة هو المعادل لشخصية محمود . . وهو يسلك طريقه للأدب بترويض يد الريبوت التي دأبت على صفعه كثيراً .

لا يمكن إغفال اسم الأديب الراحل جمال عساكر⁽⁷⁾ - رحمه الله - عند الحديث عن أدب الخيال العلمي الذي أبلى فيه بلاءً حسناً أثر عن فوزه بجائزة سوزان مبارك فرع الخيال العلمي عام 1990 عن مجموعته القصصية 23 كارتاً أحمر في الهواء .

(6) من يصرع الريبوت : محمود صادق رواية خيال علمي الهيئة المصرية العامة للكتاب 2007 وقد فاز بجائزة سوزان مبارك في أدب الطفل عام 1994 .

(7) جمال عساكر 23 كارتاً أحمر في الهواء كتاب قطر الندى عام 2001 رسوم الفنان أحمد الجنائني ونجدر الإشارة بأن الأديب الراحل فاز بجائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال عام 2001 عن روايته " رحمة في كوكب الورد " والتي قدمها لنيل جائزة الدولة ولم يتسلمها بنفسه حيث قد وافته المنية قبل ذلك (رحمه الله) .

رابعاً : مجال تبسيط العلوم للأطفال :

كثيرون اختلفوا على جدوى تبسيط كل أعمال الأدباء الكبار للطفل لأسباب عديدة أهمها أنها لم تكتب أصلاً له وحتى في الأعمال التي تحقق فيها العمق الإنساني الذي يجعلها مثيرة للطفل رأى البعض أن تبسيط الأعمال الأدبية للصغار أمر بالغ الصعوبة على أية حال . . فلم توقف هذه الآراء عملية التبسيط والإيمان بأهميتها لكن أحداً لم يختلف على أهمية تبسيط العلوم باعتباره ضرورة تعادل ضرورة تنمية الوعي العلمي لدي أطفالنا وهو ما حداً بمسابقة سوزان مبارك في عام 1990 تخصيص فرع لتبسيط العلوم وفاز بها الشاعر ابن المحلة لطفی مطاوع عن كتابه " الاستشعار عن بعد" ⁽⁸⁾ وقد أسعدني كثيراً وجود أعمال تبسيط علوم ضمن الأعمال التي أتولى قراءتها .

أمامي قصة " السلحفاة" ⁽⁹⁾ للأديب طلعت تركي وهي تصور لنا فرحة الصغیر برؤيته للسلحفاة في البحر وصوت الأب . . " لا تدهشوا فالبحر مليء بالعجائب الثمينة . . إنها واحدة من آلاف الكائنات تحت سطح الماء . . وهناك العديد من القصص التي كتبها طلعت تركي كان هدفه فيها تبسيط المعلومة بشكل جيد ، وقد أفاد من عمله كمدرس للفيزياء بالمرحلة الثانوية فراح ينتقي ما يتناسب مع الطفولة ساعياً إلى تحقيق هدفه وهو تنمية التفكير العلمي لدي الأطفال .

ويأخذنا الأديب جمال مراد مصباح⁽¹⁰⁾ إلى بائع الفخار " حراجي " الذي ينزل القرية دائماً ويرى النيل في وجهه ويراه يأتي مع ماء النهر ويلتف الأطفال حوله ويحكي لهم عن الطمي الذي هو من طرح النهر (ونشكله بأيدينا وبعض الآلات البسيطة نصنع القلة والزير والجرة والأواني الفخارية ثم نحرقه في أفران ذات لهب حتى يصير الطمي الأسمر لوناً لنا) وهكذا يقدم لنا جمال تبسيطاً علمياً ناجحاً لصنع الفخار داخل حكاية مشوقة للأطفال وعبر لغة تفيض بالبهجة والطفولة .

وكم كنت أتمنى أن أتوقف عند قصته الجميلة " بائع الألمان " حيث أنها تقدم شخصية من لحم ودم ومن خلالها تظهر المعلومة ميسرة للأطفال .

وبائع الألمان عنوان مجموعة قصصية لجمال مراد مصباح تنتظر دورها في النشر .

(8) مجموعة قصصية في مجال تبسيط العلوم : لطفی مطاوع 1991 جائزة سوزان مبارك في أدب الأطفال عام 1991 .

(9) سلسلة قصص في مجال تبسيط العلوم : طلعت تركي . . دار الأمانء بالمحلة الكبرى عام 2006 . . وله أعمال منشورة في مجلة علاء الدين وقطر الندى .

(10) جمال مراد مصباح : يكتب القصة القصيرة ويكتب للطفل وله مجموعة قيد النشر . . وأعمال منشورة في مجلة أحمد . . علاء الدين . . قطر الندى . . ميكي .

خامسا : القصة القصيرة للطفل :

إذا كانت القصة القصيرة للكبار لها رونقها وأهميتها فالأمر يزداد أهمية في قصة الطفل لأن مساحتها لا تبعث على الملل يمكن للطفل مطالعتها في عدة دقائق شريطة أن يتواجد فيها العنصر التشويقي والشخصية المحببة للطفل وعناصر الإبهار الأخرى في القصة . . خاصة إذا كان الكاتب يمارس الكتابة للكبار فهو يقطف من محاسن التجليات ما يجعله قادرا على إنتاج نص فني رائع للطفل بعيدا عن المباشرة ومجموعة الكتاب أمامي معظمهم مارسوا الكتابة للكبار مما يعطي لنص الطفل قوته ورونقه الجميل . .

وللتأكيد على عدم تكرار الجنس الأدبي لدى أي كاتب ولضيق الوقت نؤكد هنا على قصة الطفل لدى الكاتب ياسر عزيز والكاتبة وسام جار النبي الحلو . .

(أ) **عروسة ياسر عزيز⁽¹¹⁾ وفعل المقاومة :** الأديب ياسر عزيز يحمل بداخله دفقة طفولية هائلة، لغته في القصة هي لغة الطفل عندما يتكلم يختار لقطات طفولية ذكية تبدي لك استعداداه بأن يلعب مع الطفل . . باختصار قصصه قريبة للطفل ، أحداثها يعيشها الطفل ، فتبدو له الفكرة سهلة المنال .

وفي قصة العروسة : يخطف محمد من أخته الصغيرة عروستها . . تبكي الصغيرة وتقول : لن أدعك تأخذها مني أبدا . .

وبهذا تحيب الأم عمليا وهي تبتسم على سؤال الصغيرة . . وما الاحتلال يا أمي . . القصة للأديب ياسر عزيز وهي منشورة في مجلة أحمد عام 1994 العدد 165 محرم 1415 واختيار الكاتب للعروسة بالذات لتكون الوسيلة المادية لشرح معني الاحتلال هو اختيار موفق . . لأنه في ظل الاحتلال لا مكان لعروسة ولا لطفلة تلعب . . حيث تختنق دنيا الأطفال ويحل محلها الدمار . . إن ذكاء القصة هو أن يجعل الكاتب مفهوم المقاومة يأتي على لسان الصغيرة وكأنه يعطيها دورها في المقاومة .

" لن أدعك تأخذها مني أبدا "

من الجميل أن يكون الصراع على أدوات الطفولة " العروسة " لتقريب المعنى للطفل . . جاءت القصة بلغة سلسلة رقاقة . . وكلمات قليلة كلها تتواكب مع الطفولة المبكرة مما يجعل القصة تناسب المرحلة السنية من 6 : 9 ولكن هذه المرحلة لا تحجبها عن المراحل السنية الأخرى .

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن هناك تنوعا أيضا في الموضوعات المطروحة في أدب الطفل .

(11) يكتب ياسر عزيز القصة والقصة المصورة وقد فاز بجائزة أكاديمية الفنون والعلوم لشباب المبدعين في فرع الخيال العلمي

1. أعمال قدمت التراث برؤية جديدة ولغة مناسبة للطفل عبر مداخل تثير شغف الطفل في " فانوس على كل باب " حيث صورت المجتمع الإسلامي في صورة تنسجم تماما مع السلطة الحاكمة له مما جعل الازدهار واضحا ومتمثلا في الفوانيس المعلقة وأخرى قدمت لقطة مبهرة تمهد لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والمائلة في قصة " ليلة تعطل فيها التلفاز " لعبد الجواد الحمزاوي ، وجاء تناولها سلسا وبانتهاؤها يكون الطفل قد عرف جزءا من السيرة وتشبع بالمعاني واللغة .
 2. أعمال ترتبط بالبيئة على النحو الذي رأيناه عند محمود عبد الله محمد (حكايات الجد مشعل) و جمال مراد مصباح في (بائع الفخار) .
 3. أعمال تبنت بنجاح موضوع المقاومة باعتبارها السبيل الوحيد لحفظ كيان الأمة وتحرير الوطن (علم الجندي الجميل) وسام جار النبي الحلو (العروسة) ياسر عزيز (حكاية السيد حسب النبي) محمود عبد الله محمد (إحدى حكايات الجد مشعل) .
 4. أعمال تراهن على العلم باعتباره السبيل لنهضة الأمة ومن هنا رأى أصحابها ضرورة تبسيط الحقائق العلمية للطفل مثل " السلحفاة " لطلعت تركي وبائع الفخار لجمال مراد مصباح .
 5. أهمية أدب الخيال العملي باعتباره يؤصل لمستقبل قادم ينفع الطفل والطفولة من خلال رواية " من يصرع الريبوت " لمحمود صادق مصطفى .
- وبهذا نكون قد أبرزنا عبر لمحات سريعة أن التنوع هو سمة أدب الطفل بالمحلة . . ويؤكد ذلك أكثر أننا لم نتناول كل أعمال المبدعين فيها حتى يظهر هذا التنوع أكثر . .
- والذي بدا ليس في الأجناس الأدبية فعسب ولكن أيضا في الموضوعات المطروحة وكل هذا يبرز الشراء الجميل لمشهد أدب الطفل في المحلة .